﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٩٦﴾ [الحجر: 95 - 96]

مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قَبلَهما:

كـفـايـةُ الـلـهِ الـمؤمـنـين أمـرَ المُستهزئين، بعد أمرِه بالصّدع بما يُؤْمَرُ

لمّا كان الأمرُ بالصّدع بما يُؤْمَرُ به النّبيُّ ﷺ - أي: بالقرآن والدّعوة - في غاية الشِّدَّةِ عليه ﷺ؛ لكثرةِ ما يَلْقى مِن أذى المُشركين، خَفَّفَ عنه سبحانَه بقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ مُعَلّلًا لما تقدَّم، فجاءت هاتانِ الآيتان[1].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿كَفَيْنَٰكَ﴾: كَفَى الشَّيْءُ يَكْفي كِفايَةً فهو كافٍ، إذا قامَ بالأمرِ وحَصَلَ بِهِ الِاسْتِغْناءُ عَنْ غَيْرِهِ، ويدور معنى الكفاية على الاستغناء بالشّيء، يقال: اكْتَفَيْتُ بِالشَّيْءِ، بمعنى اسْتَغْنَيْتُ بِهِ، واسْتَكْفَيْتُه أمرًا فكفانيهِ، أي: قام به وأغناني عنِ القيام به، ويُقال: كَفاكَ هَذا الأمرُ، أي: حَسْبُكَ، والكِفايَةُ: ما فيه سَدُّ الخَلّة وبلوغُ المُرادِ في الأمر، والكُفْيَةُ - بالضَّمّ -: القوتُ، وهو ما يكفيك مِنَ العيش[2].

2) ﴿ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾: يدور معنى (هَزَأ) على التّحرُّكِ والتَّحريك القويِّ بسبب الخِفَّة، ومنه قولهم: هَزَأَ الرّاحلةَ: حَرَّكَها، وأَهْزَأَتْ به ناقتُه: أَسْرَعَتْ، والهُزْءُ والهُزُؤ: السُّخْرِيَةُ مع استخفافِ قَدْرِ المُسْتَهزَأ به، والاستهزاءُ: ارتيادُ الهُزُؤِ، وإن كان قد يُعَبَّر به عن تعاطي الهُزُؤ[3].

المَعنى الإجماليُّ:

من نعمة الله على رسوله ﷺ أن كـفـاه أمـرَ المُستهزئين

بعد أن أمر اللّهُ تعالى نبيَّه ﷺ أن يجهرَ بالقرآن ويعلنَ ما أُمِرَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/97.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (كفي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (هزأ أو هزؤ).

به مِنَ الشّرائع، ولا يلتفت إلى لَوْم المشركين ولا يبالي بهم؛ طَمأنَهُ تعالى بأنَّه قد كفاه أمرَ المُستَهْزئين الذين يَسْخَرون منه، وأنَّه تعالى عاصِمُه منهم، فلا ينالون منه ولا مِن دعوته ﷺ، فقال ما معناه: إنّا كفيناكَ أمرَ المُستَهزئين بِكَ، السّاخِرين مِن زعماء قريش، الذين اتَّخذوا شريكًا مع اللّه في العبادةِ، فسوف يعلمون عاقبةَ عملِهم في الدُّنيا والآخرة[1].

۞ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

فائدة (إنَّ) التّوكيديّة:

المُستَهزئون بالقرآن لن يُعيقوا تبليغَه ونَشْرَه؛ لأنَّ الله تعالى كفى في ذلك رسولَه

تُفيد (إنَّ) تَعْليلَ قولِه تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾، فتكون جملةُ: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ تعليلًا للإعْلانِ بما أُمِرَ بِهِ، ومرتبطةً بما قبلَها ارتباطَ المسبَّب بالسّبب عن طريق (إنَّ)؛ ولهذا جاءتِ الجملةُ على طريقِ الفَصلِ لا الوصل، فبينَها وما قبلَها (شِبهُ كمالِ اتّصال)، كما أفادت (إنَّ) تَأْكيدَ مضمونِ الخَبرِ وتقريرَه؛ اهْتِمامًا بِشَأْنِ كفايةِ اللّهِ تعالى رسولَه ﷺ المُسْتَهْزئين، لا لِلشَّكِّ في تَحَقُّقِ الخبرِ[2].

دلالةُ الجملةِ الاسميّة ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ﴾:

ثُبوتُ تَولّي اللهِ كفايةَ المؤمنين أمرَ المُستَهزئين واستمرارُه

أفادتِ الجملةُ الاسميَّة الثّبوتَ، بمعنى: ثبوت تولّي اللّهِ تعالى كفايةَ رسولِه ﷺ المُستَهزئين، ولو كان الاستهزاءُ بعد وفاته ﷺ، فتكونُ كفايةُ اللّهِ تعالى المؤمنينَ أمرَ المُستهزئين، استمرارًا لكفاية اللّهِ رسولَه أمرَهم.

دلالةُ التّعبيرِ بضمير العَظَمة:

لِشِدّة خطرِ المُستَهزئين بالقرآن وبالإسلامِ، تولَّى اللهُ تعالى كفايتَهم

أفاد التَّعبيرُ بضمير العَظَمة ﴿إِنَّا﴾ في الآية، أنَّ كفاية المُستهزئين لا يَقْدِر عليها إلّا اللّهُ المَلِكُ الواحدُ الأحدُ، وأنَّ كفايتَه عظيمةٌ مهولة؛

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/159.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/89.

لِيُشْعِرَ بخطر أمرِ المُسْتَهزئين على القرآن وعلى الإسلامِ، والمعنى: نكفيكَ المُسْتَهزئين بقمعِهم وإهلاكِهم[1].

بلاغةُ مَجيء المسندِ جملةً فعليَّةً:

تدبيرُ اللهِ تعالى لأمر رسولِه ﷺ، وعنايتُه بكفايتِه المُسْتَهزئين

أفادَ مَجيء المُسْنَد ﴿كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ جملةً فعليَّةً تقويةَ الحُكمِ، بمعنى: تحقيق كفايةِ اللّه تعالى رسولَه أمرَ المُسْتَهزئين، وأنَّ هذه الكفايةَ لا تكون إلّا مِنَ اللّه تعالى، ولا يَقْدِر عليها سِواه ﷺ، ففي الكلامِ معنى تدبيرِ اللّهِ تعالى لأمر رسولِه ﷺ، وعنايتِه ولُطْفِه به.

دلالةُ مَجيءِ الفعلِ بصيغة الماضي:

التّعبيرُ عمّا يكون في المستقبل بصيغة المُضيّ، إيذانٌ بقُربِه، وتَحقّق وقوعِه

كان الظّاهرُ أن يقول: (إنّا نكفيك المستهزئين)؛ لأنَّه تعليلٌ لِلأمر بالصّدْع بالقرآن، فالمعنى: فاصْدَعْ بما تُؤْمَرُ؛ لأنّنا سنكفيكَ أمرَ المُسْتَهزئين، فقد جاء في كتبِ التّفسير: أنَّ رؤساءَ المُستهزئين ورؤوسَهم، ممّن لهم قوَّةٌ وشَوْكَةٌ ورئاسَةٌ، كانوا خمسةً، وكلُّهم ماتَ قبلَ بدرٍ[2]، فتكونُ كفايتُهم بإهلاكِهم، بعدَ الأمر بالصّدع، ويُؤيّدُه قولُه تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ على معنى الاستقبال، ونُكْتَةُ التّعبيرِ بصيغة الماضي: الإيذانُ بقُربِه وتَحَقُّقِ وقوعِه، لإخبار اللّه تعالى به، وأنَّه تعالى قد قضى بهذا الأمر، كأمور القيامة ذُكِرَتْ أكثرُها بصيغة الماضي لهذا[3].

فائدةُ الخطاب في قوله: ﴿كَفَيْنَٰكَ﴾:

مَن يدافعُ اللهُ عنه فهو عظيمُ القَدْرِ عندَه

جاء الكلامُ على طريق الخطاب لرسول اللّه ﷺ، كما هو حال السّياق، وفيه إشعارٌ بعُلُوِّ قَدْرِه ﷺ، وعِظَم مَنْصِبِه؛ إذ يدافع اللّهُ تعالى عنه، ويحميه مِنَ المُستهزئين.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/97، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 11/202.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 17/159.
(3) النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 9/227، 231.

دلالة إسناد الكفاية إلى ذات المُستهزئين:

كفاية المُستهزئين تكون بكفاية استهزائِهم وذواتِهم

لما كان مَعْنَى الكِفايَةِ هو تَولّي الكافي ما يَهمُّ المَكْفيَّ ممّا هو معنًى أو حدثٌ، وليس ذاتًا، فالكافي هو مُتَولّي عَمَلٍ عَنْ غَيْرِه؛ لِأَنَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْهِ، أَوْ لِأَنَّهُ يَبْتَغي راحَةَ المَكْفيّ، ولـمّا كان المفعول الثّاني للفعل (كفى) هو المُهِمَّ المَكْفيَّ مِنْهُ، وهو هنا ﴿ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ وهو اسم ذاتٍ؛ كان المرادُ بكفاية المُستهزئين كفايةَ أحوالِهم، التي يدلُّ عليها المقام، والمرادُ: كَفَيْناكَ الِانْتِقامَ مِنْهُم، وإراحَتك مِن اسْتِهْزائِهِم، وكانوا يَسْتَهْزِئونَ بِصُنوفٍ مِنَ الِاسْتِهْزاءِ.

ونُكْتَةُ إسناد الكفاية إلى ذات المُستهزئين، إذ لم يقل مثلًا: (إنّا كفيناك استهزاءهم)؛ الإشعار بأنَّه تعالى يكفي رسولَه ﷺ ذواتَهم واستهزاءهم، فلو قيل: كفيتُكَ عدوَّك؛ كان أبلغَ مِن: كفيتُكَ أذى عدوِّك[1].

فائدة (أل) في لفظ: ﴿ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾:

الاستهزاءُ بالقرآن كفرٌ، سواءٌ كان الاستهزاء كثيرًا أو قليلًا

التَّعْريفُ في المُسْتَهْزِئينَ لِلْجِنْسِ، فيُفيدُ العُمومَ، أيْ: كَفَيْناك كلَّ مُستهزئٍ، ويدخل في الذّمِّ والعقوبةِ مَن كثر استهزاؤه وعَظُم، ومَن قَلَّ استهزاؤه وصَغُرَ، ويدخل فيه المُستهزئون مِنْ أكابِرِ الكُفّارِ وأهْلِ الشَّوْكَةِ من قريشٍ دخولًا أوّليًّا، وإذا كَفاهُ اللّه أمرَهُم بِقَمعِهِم وتَدْميرِهِم، كَفاهُ أمرَ مَنْ هو دونَهُم بِالأَوْلَى[2].

نُكْتَةُ التّعبير بالوصف في قولِه: ﴿ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾:

تهويلُ شأنِ الاستهزاء برسول الله ﷺ أو بالقرآن

التَّعْبيرُ عَنْهُم بوصْفِ المُسْتَهْزِئينَ إشعارٌ بأنَّهم عريقون في الاستهزاء برسولِ اللّه ﷺ وبما جاء به؛ لتهويل شأنِ الاستهزاء به ﷺ، أو بالقرآنِ ولو كانَ قليلًا، وفيه إيماءٌ إلى أنَّهُ تعالى كَفاهُ استهزاءَهُم، وهو أقَلُّ أنْواعِ الأذَى، فكِفايَتُهُ ما هو أشَدُّ مِنَ الِاسْتِهْزاءِ مِنَ الأذَى مَفْهومٌ بِطَريقِ الأحْرَى والأولى[3].

---

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/89.

(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/173، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/89.

(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/97، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/89.

بلاغةُ الكناية:

قولُه تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾، وفيه: أنّه لـمّا تولّى اللّهُ تعالى كفايةَ رسولِه ﷺ في كفايته المُسْتَهْزئينَ، أفاد بلازمِه أنّ المستهزئين لن يصلوا إليكَ، ولن يُؤَثِّروا في جَهْرك بالدّعوة بشيء يُمليه استهزاؤهم، فإنَّنا كفيناك المُستهزئين واستهزاءَهم، وهذا ضمانٌ منه سبحانه لكفايةِ رسولِه أمرَ المُستهزئين، وحمايته له ﷺ منهم.

ضمانُ حمايةِ اللهِ رسولَه ﷺ لتأمين أمرِ الدّعوة ونشرِها

بَراعةُ ذِكْر المُستهزئين بعد المشركين، والمقصود فريقٌ واحد:

لَمّا أمر اللّهُ تعالى رسولَه بالصّدع بالقرآن وبالدّعوة إلى الإسلام، وكان المقصود تفرّغ رسولِ اللّه ﷺ لأمر الدّعوة، وعدمُ الانشغالِ بأيِّ أمرٍ عنها؛ أعقبه بالأمر بالإعراضِ عنِ المشركين، فأسندَ الإعراضَ عنهم إلى رسول اللّه ﷺ.

من بلاغة القرآن دقّةُ اختيارِ اللّفظ المناسبِ للمعنى وللنّظم

ولـمّا كان المُستهزئون يشغلون رسولَ اللّه ﷺ عنِ الصّدع بالقرآن، ويَقسون عليه صرفًا له عن أداء مهمّته، فلا جرم أنّ اللّه وكلَ أمرَهم إليه ، ولـمّا كان الإعراض بمعنى عدم الالتفات إلى إساءَةِ المشركين وعتابِهم ولومِهم، ولم يكن في الإشراكِ معنى التّعدّي بالأذى على رسولِ اللّه ﷺ، فليس كلُّ مشركٍ مُستَهْزئًا؛ أُسنِدَ إلى رسول اللّه ﷺ الإعراضُ عنِ المشركين، ولـمّا كان الاستهزاءُ سلوكًا عدوانيًّا، لا قولًا ساخرًا فحسب، وكلُّ مُستهزئٍ كافرٌ؛ أسند اللّهُ كفايةَ المُستهزئين إليه سبحانَه، وهذه بلاغةٌ عالية في إسناد كلّ فعلٍ إلى مَن يناسبُه ويُلائمُه.

دلالة السّين والتّاء في لفظ: ﴿ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾:

السّين والتّاء للمبالغة، بمعنى أنَّ المستهزئين كانوا يبالغون في استهزائهم ويكثرون منه حتّى صار وصفًا ثابتًا لهم، ولشِدَّة مبالغتِهم في استهزائهم برسولِه الكريم ﷺ، ولِهولِه وقُبْحِه عند اللّه تعالى؛ كان الاستهزاءُ في المعنى أشدَّ مِن شركهم؛ إذ جعل

الاستهزاء باللّه أو بالرّسول أو بالقرآن هو كفرٌ لا محالة

﴿ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ منعوتًا، ونعتَهم بالشّرك في قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ﴾؛ لأنَّ الاستهزاء يتضمّن معنى الكفرِ وزيادة، فصحَّ وصفُهم بالشّرك، على معنى الإيضاح وزيادة المعنى كما سيأتي.

فائدةُ حذفِ متعلَّق ﴿ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾:

لمّا حَذَفَ متعلَّق الوصف ﴿ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ فلم يقل: (المستهزئين بكَ أو بالقرآن)، فقد أفاد عمومَ الاستهزاء، ودخل فيه الاستهزاءُ برسولِ اللّه ﷺ دخولًا أوّليًّا.

الاستهزاء بالدّين مذمومٌ، أيًّا كان نوعُه وشكلُه

دلالةُ الوصفِ بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

جاء الوصفُ في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ﴾ بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ لزيادة إيضاحِ للمُستهزئين الذين كانوا في وقتِ الرّسول ﷺ، فهو وصفٌ كاشفٌ وليس صفةً مقيّدةً، فكأنّه حَدّد المقصودَ وعيَّنَه بذِكر الصّلة التي تُشير إلى أنّها معلومةُ الانتساب، إلى مشارٍ إليه معيَّنٍ عند المخاطَب، وتقدّم أنَّ رؤساءهم كانوا خمسةً، وكانَ هَلاكُهُمُ العَجيبُ المَحْكيُّ في كُتُبِ السّيرَةِ صارِفًا أَتْباعَهُم عَنِ الاسْتِهْزاءِ لانْفِراطِ عِقْدِهِم، وفي وصفِهم بأنَّهم يَجعَلونَ مَعَ اللّه إلهًا آخَرَ ذمٌّ لهم، وتشويهٌ لحالِهم، ووعيدٌ لهم، وتَسْلِيَةٌ لرسولِ اللّه ﷺ بِأنَّهُم ما اقْتَصَروا عَلَى تماديهم في الاستهزاء والافْتِراءِ عليه، فقَدِ افْتَرَوْا على اللّه تعالى، واجترؤوا على العظيمة، التي هي الإشراك باللّه سبحانه أيضًا[1].

تقبيح أمرِ المستهزئين بالدّين، في جمعهم بينَ الشّرك والاستهزاء

دلالةُ لفظِ ﴿يَجۡعَلُونَ﴾:

قوله: ﴿يَجۡعَلُونَ﴾ هنا بمعنى: يزعمون أنَّ مع اللّه إلهًا آخَر؛ إمّا في التَّسمية، أي: يسمّون مع اللّه إلهًا آخر، وإمّا في العبادة، أيّ: يعتقدون في عبادتِهم أنَّ مع اللّه إلهًا آخرَ[2]، فيكون الجَعْلُ بمعنى

ادّعاءُ الشّريكِ لله تعالى اختلاق، لا ينبغي أن يكون أصلًا

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/92، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/90.
(2) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 6/468.

القولِ والاعتقاد، وفي التّعبير بالجَعْل تعجيبٌ مِن حالِهم، فكأنَّهم قدِ اختلقوا زعمًا لم يكن له مثالٌ سابقٌ، للإشعار بأنَّ مثل هذا الزّعم لا ينبغي أن يكون أصلًا؛ لمخالفتِه العقلَ والواقعَ.

نُكْتَةُ التّعبيرِ بالمضارع:

ذِكْرُ الجريرة بصيغة المضارع الدّالّ على الاستمرار، زيادة في التّوبيخ والذّمّ

عبِّرَ بصيغة المضارع في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ﴾؛ لِلْإشارَةِ إلى استمرارِهم على ذلك، وتجدُّد الأمرِ عندهم حالًا فحالًا، وفيه استحضارٌ للحالةِ[1]، ففي التّعبير بالمضارع زيادةٌ في توبيخِهم وذَمّهم.

دلالةُ التّعبير بالمعيَّة:

الإشراكُ بالله ظُلْمٌ عظيم، كما نصّ عليه القرآن الحكيم

لـمّا كان لفظ ﴿مَعَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ﴾ يُفيد أنَّ ما بعدَه هو الأصل؛ نبَّه بذلك إلى أنَّ اللّه تعالى هو الإلهُ الواحدُ الأحَدُ، وأنَّهم أخطؤوا وظلموا حين جعلوا مع الإله الواحد إلهًا آخر، ولـمّا كان لفظُ ﴿مَعَ﴾ ظرفًا يكون للمكان والزّمان، أفادَ أنَّهم كانوا يجعلون معَ اللّهِ إلهًا آخَر في مكان عبادتِهم، وفي كلِّ وقتٍ.

نُكْتَةُ التّعبيرِ بلفظ الجلالة ﴿ٱللَّـهِ﴾:

الإشعارُ بتوحيدِ اللهِ وكمالِ أوصافِه، مانعٌ مِنَ الشّرك ومظاهره

عبّر بلفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ العَلَم على الذّات الإلهيَّة الجامع لصفاتِ الجلال والجمال، في قوله تعالى: ﴿يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ﴾؛ للإيذانِ بقُبحِ فِعْلِهم واعتقادِهم، وللإيذان بالتّعجيب مِن حالِهم؛ إذ جعلوا مع اللّه إلهًا آخر مع ما رأوا من آياته الدّالَّة على توحيدِه وجَلاله وكمالِ أوصافِه[2].

بَراعةُ ذِكْرِ لفظ ﴿إِلَٰهًا﴾ دون (ربًّا):

الشّركُ في الأوامر والنّواهي والمُعتقدات، جُرْأةٌ على الله في مقتضى الأُلوهيّة

لـمّا كان المشركون معترفين بربوبيَّة اللّهِ تعالى، وخَلْقِه لهم، وكانوا يجعلون معَ اللّه إلهًا آخَرَ في عبادتِهم، وليس في اعتقادِهم؛ أفادَ أنَّهم كانوا يُشركون معه تعالى في مقتضى الأُلوهيّة، أي: في الأوامر والنّواهي والمعتقدات الباطلة.

---

(1) الآلوسي، روح المعاني: 7/328.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/97.

نُكْتَةُ تنكير لفظ ﴿إِلَٰهًا﴾:

المشركون يعبدون أيَّ إلَهٍ يوافق أهواءَهم، وذلك عنوانُ ضلالهم

أفاد مَجِيءُ ﴿إِلَٰهًا﴾ نكرةً أنَّهم ما كانوا يعبدون إلهًا معيَّنًا، بل كانوا يعبدون أيَّ إلهٍ يوافق أهواءَهم، فلا يَهمّهم نوعُ الإلهِ، بل المُهِمُّ أن يجعلوه إلهًا لهم، يشركون به مع اللّه تعالى.

نُكْتَةُ الوصف بلفظ ﴿ءَاخَرَۚ﴾:

الإشراكُ أن يجعل المُشرِكُ ذاتًا أُخرى، يُؤلِّهها مع الله 

لمّا كان لفظُ ﴿مَعَ﴾ قد يُفهِم الغَيريَّةَ، أي: قد يُفهم أنَّ المعنى: الذين يجعلون غيرَ اللّهِ إلهًا، فلا يُفهم معنى التّهديدِ على الإشراك، والحالُ أنَّ المكذِّبين مِن أهلِ مكَّةَ كانوا مشركين، ولا سيَّما مع التَّعبير بالجَعْل؛ زاد في الصّراحة بذِكْر الصِّفَة مُقيِّدَةً للموصوف؛ لنفي كلِّ احتمال بقوله: ﴿ءَاخَرَۚ﴾، ولئلّا يُظَنَّ أنَّ تعدّد أوصافِ اللّهِ وأسمائِه والدّعاءَ بها إشراكٌ باللّه تعالى، فالإشراكُ أن يجعلَ المُشرِكُ مع اللّه ذاتًا أُخرى على سبيلِ تأليهها مع اللّه ﷻ[1].

معنى الفاءِ ونوعُها في ﴿فَسَوۡفَ﴾:

ترتُّبُ الوعيدِ والعذاب على المُستهزئين بالله وبرسولِه وبالقرآن

تُفيدُ الفاء في قوله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾؛ التّرتُّبَ، بمعنى: أنَّ الوعيد الشّديد مرتّبٌ على مَن يستهزئون برسول اللّه ﷺ وبالقرآن، وعلى مَن يجعلون مع اللّه إلهًا آخَر.

نُكْتَةُ ذِكْرِ (سَوْفَ) دون (السّين):

التّعبير بِـ(سوف) للمبالغة في تأكيد الوعيد، وأنَّه كائنٌ لا محالة وإنْ تأخَّر

لمّا كان حرفُ التّنفيس (سَوْفَ) فيه بُعْدٌ وتَراخٍ في الزّمن المستقبل أكثرَ مِنَ السّين؛ أشعر بانتظار الوعيدِ والتّهديدِ، وفي انتظار الوعيد تخويفٌ وترهيبٌ لهم، ومِن فوائد التّعبير بـ(سَوْفَ): المبالغةُ في تأكيد الأمر، والإيذانُ بأنَّ الأمرَ كائنٌ لا محالةَ وإنْ تأخَّر، فالغرضُ منه: توكيدُ الوعيد وتثبيتُه، لا كونُه متأخِّرًا[2].

---

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/97.

(2) السّامرائي، معاني النّحو: 4/27.

نكتةُ التّعبير بالمضارع:

سوف يتجلّى العِلْمُ بالوعيد، في تحقّق العذابِ الأكيد

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، وفيه: أفاد التّعبيرُ بالمضارع المُقترنِ بـ﴿فَسَوْفَ﴾ وقوعَ علمِهم بالوعيد، وتَحَقُّقَهم مِن عذابِهم في المستقبل لا محالةَ، وأنَّه يتجدّد وقتًا فوقتًا، بما يرون مِنَ الآيات والبيّناتِ.

بلاغةُ الكناية:

تركُ التَّصريحِ بنوعِ العذاب؛ لقصوره عن فظاعة الاستهزاء بالرّسول المعصوم

التّعبيرُ بقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ في سياق الآية؛ يُقْصَد منه لازِمُه، وهو المبالغةُ في التّهديد والوعيد[1]، وفائدة الكناية: الإشعارُ بأنَّ ذِكْر أيِّ نوعٍ مِنَ العذاب لا يناسب ما عملوه؛ لفظاعةِ الاستهزاء برسول اللّه ﷺ، والإشراكِ باللّه وجَعْلِهِمُ القرآنَ عِضين، لتذهبَ النّفسُ كلَّ مذهبٍ في تصوّر العذاب وعِظَمِه.

نُكْتَةُ التّعبيرِ بالعِلْم دونَ التَّعبير عنِ المقصودِ مباشرة:

الاستهزاء بالقرآن وبالرّسول ﷺ جَهْلٌ

عُبِّر بلفظ ﴿يَعْلَمُونَ﴾؛ للإيذان بأنّهم سيُحيطون عِلْمًا بالأمر، ولم يقل: (فسوف يَرَون)، أو (فسوف يُعَذَّبون)؛ للتّعريض بجهلهم في كُفرِهم واستهزائِهم، وجَعْلِهِمُ القرآنَ عِضين، ولو كان عندَهم وصفُ العِلْم الصّحيحِ لما فعلوا ما فعَلوا، ففيه إهانةٌ لهم؛ لأنَّ التّعبير يُؤْذِنُ بأنَّهم الآن يجهلون، وسوف يعلمون في المستقبل عاقبةَ أمرِهم.

نُكْتَةُ حَذْفِ مفعولِ الفعلِ:

سيعلمُ المُستهزئون وغيرُهم سوءَ عاقبتِهم على استهزائِهم وتكذيبِهم

حُذِفَ مفعولي ﴿يَعْلَمُونَ﴾ لإفادة العموم، والمعنى: فسوف يعلمون ما يلقون من عذاب اللّه عند مصيرهم إليه في القيامة، وما يَحِلّ بهم مِنَ البلاء، وسوف يعلمون شِدَّةَ بطشنا وقُدرتنا على ما نريد، ليكون وازعًا لغيرهم، وسوف يعلمون سوء ما عملوا مِنَ الاقتسام، والعِضَة، والاستهزاء برسول اللّه وأصحابه، إذا نزل العذاب بهم، وسوف يعلمون عاقبةَ ما يأتون وما يذرون في الدّنيا والآخرة[2].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/159، والسّمعانيّ، تفسير السّمعاني: 3/155، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/498.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 17/159، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/218، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/92.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الاستهزاء والسُّخريَةُ:

الاستهزاء فيما يُظنُّ فيه القوّة أو حُسْنُ الرّأي، والسّخريَةُ فيما يُظنُّ فيه الصَّغارُ والذُّلُّ

والفرقُ بينهما: هو أنّ الإنسان يُستهزَأ به من غير أن يسبق منه فعلٌ يُستهزَأ به مِن أجله، والسُّخْر يدل على فعلٍ يسبق مِنَ المَسخور منه، والعبارة مِنَ اللّفظين تدلُّ عن صِحّة ما قلناه، وذلك أنّك تقول: استهزأتُ به، فتَعَدّى الفعلُ منك بالباء، والباء للإلصاق، كأنّك ألصقتَ به استهزاءً من غير أن يَدُلَّ على شيء وقع الاستهزاءُ مِن أجله، وتقول: سَخِرتُ منه، فيقتضي ذلك مَن وقعَ السُّخْر مِن أجله، كما تقول: تعجّبتُ منه، فيَدُلُّ ذلك على فعلٍ وقعَ التَّعَجُّب مِن أجله، والهُزء يجري مجرى العبث، ولهذا جاز: هَزَأتُ مثل عبَثْتُ، فلا يقتضي معنى السُّخريةِ؛ فالفرق بينهما بيِّنٌ[1]، كما أنَّ الاستهزاء هو بمعنى السّخرية على وجه التّعدّي، وهو سلوك عدوانيٌّ، وأمّا السُّخريَة: فهي الإذلال والتّحقير والتّنبيه على عيوبٍ ونقائصَ، على وجهٍ يُضحكُ الآخرين، والاستهزاءُ لا يكون إلّا فيما يَظُنُّ النّاسُ فيه القوّةَ والغلبةَ، أو حُسنَ الرّأي وصوابَ القولِ والعمل، والسّخرية قد تكون فيما يَظُنُّ النّاسُ فيه صَغارًا وذُلًّا.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 254 - 255.